تاريخ التمثيل

(٢)

أصل الفاجعة

لقد كانت الفاجعة فى البلاد اليونانية ضرباً من التعبد المشتق من الطقوس الدينية التى كانت تقام للاله ديونيزوس .

ولبثت على هذه الحالة طيلة العصر المدرسى . ولم يكن الشعب يرى فيها غير الشعائر المقدسة لاحد آلهته . ولذا لم تكن تمثل بتواتر . وفى أى وقت كان ، كما هى الحال عندنا الآن بل كانت تقام فى اثينا فى الاعياد الديونيزية الثلاثة . وأكبر هذه الاعياد العيد الذى يقع فى الربيع . فتمثل فيه الفواجع بحضرة مندوبى حلفاء الشعب اليونانى الآتين لتقديم جزيتهم وبيع سلعهم .

وقال ارسطو إن الفاجعة تولدت من الغناء الذى كانوا ينشدونه كرمى لباخوس إله الخمر فقد كان المغنى ينشد قصة شعرية ذات روى سهل وفرقة لابسى جلد الوعول تجيبه بقطع محفوظة يتخللها عويل الحزن وزفرات الشجن .

ولم ينقل لنا التاريخ ماهية هذه الاناشيد غير أن هيرودوتس يؤكد أن الغناء المفجع (١) الشائع وقتئذ لا يختص بديونيزوس وحده بل يتعلق أيضاً بالخرافات المحلية . وهذا الغناء لم يكن يفرق البتة عن الفاجعة الأتينية وهى فى بدء عهدها .

وأول من وضع الاغنية المفجعة ابيجين (Epigine) السيونى فى استهلال القرن الخامس قبل المسيح .

وكان المتعبدون فى حالة الهذيان النفسى الذى يعتريهم يتحدون روحاً بالاههم نفسه، او بصحبه المختارين . فاذا استأثرت نشوة الفرح بالبابهم ، أو تملك مشاعرهم ذهول التعبد ، تنكروا بمختلف الازياء ليتخذوا اشكال الاشخاص الذين يسردون وقائعهم ،

---

(١) Tragique

فالفوا فرقة من الرجال البسوها جلود العنز وأطلقوا عليها اسم الوعول (Boucs) ليمثلوا الساتير (Satyres) صحب باخوس المعربدين .

فكانت هذه الفرقة الأساس الذى أقيم عليه صرح الفاجعة

وضع الفاجعة الاساسية

لقد اجمع المؤرخون على أن تسيس المولود حوالى سنة ٥٨٠ قبل المسيح بالقرب من البرزخ هو واضع أساس الفاجعة .

ويغلب على الظن أنه تأثر بطرق الاساتذة السيسيونيين (Sicyoniens) المار ذكرهم . فنحا نحوهم فى تأليف الغناء المسمى (Dithyrambe) أى غناء الاشراف الذى كان يقوم به اناس من علية القوم وكريم عصارتهم اجلالا لديونيزوس اله الخمر .

لكنه ماعتم أن أحدث فى أصله التقليدى تغييراً محسوساً بأن أضاف الى جوقة المغنيين والراقصين ممثلا متصلا بها لكنه خارج عن هيئتها فكان يؤازرها بتمثيل الحوادث ولا ينضم اليها فى الانشاد ، بل يجيب على اسئلتها بسرد حوادث .

وترتب على دخول هذا العامل الجديد اتساع فى دائرة النشيد الضيقة ظلت تتدرج بما يضاف اليها من العوامل الفاجعة حتى وصلت الى ما هى عليه الآن .

ولم يبته الينا من القطع التمثيلية (١) التى نسج بردها هذا المؤلف الأسماء لا يستخلص منها شىء . فقد قيل إنه وضع روايات عديدة منها رواية (العاب بيلياس المحزنة) ورواية (الكهنة والمغنيان) ورواية (باتيه) .

ولم تكن مواضيع هذه الروايات مقتصرة على التغنى بفضائل آلهة الخمر بل تعداه إلى أساطير البطولة والشجاعة باجمعها .

ولا يسعنا مجاراة البعض فيما يدعونه من أنه استخلص دفعة واحدة من رواياته فرقة لابسى جلد الوعول (Satyres) لان طريقته المبتكرة سميت بالفاجعة (Tragedie) ومعناها باليونانية : نشيد الرجال المتمنطقين بجلود العنز .

ولو راعينا ما كان يحدثه هذا التسترق مشاعر الجمهور لبدا لنا أنه من الصعب نبذه

---

(١) Pieces de théatre

بالكلية دون أن ينتج از وراراً عن هذه القطع التمثيلية. ولكن مما لاريب فيه أن تسبيس جهد نفسه ليرجح فى درامه عامل الساتير . ولا يستبعد بعد ما تكللت مساعيه بالنجاح أن يقدم لحضاره فواجع خلواً من لابسى جلد الوعول . لان فرقة الهازجين والراقصين البادية فى الفواجع المدرسية (Tragedies Classiques) كانت كثيرة الشيوع فى العقد الاخير من القرن السادس .

ولما تجردت الدرام المفجعة(Drame tragique) تماماً من لابسى جلد الوعول اقتصرت على ممثل واحد ينهض باعباء جميع أشخاص الرواية .فيقوم بتمثيل دور البطل والعاشق والجاسوس والخادم وغير ذلك .

وكان تسبيس يمثل رواياته فى أعياد ديونيزوس الهالخمر . ولاسيما فى الاعياد التى تقع فى فصل الخريف . فكان يتنقل فى عربته من مكان إلى آخر و يحط رحاله فى الموضع الذى يريد التمثيل فيه و يشرع فى تأليف فرقة الهازجين والراقصين و يدربها تدريباً بسيطاً ثم يقوم بالتمثيل على قارعة الطريق متخذاً من عربته مسرحاً بعد ما يزوقها و يزينها بكل ما تصل اليه يده. و يزعم بعضهم انه كان يستعمل كربونات الرصاص والبقلة الحمقاء (Pourpier) — أى الرجله — أو يضع وجها مستعاراً .

ونرى هذا بديهياً لا يحتاج الى أدلة لان مثل هذا المؤلف والممثل فى آن واحد خليق بان يدخل الى مهنته كل التحسين الذى تبتكره قريحته الفياضة . لاسيما أنه كان من المستلزم أن يغير زيه وزى فرقته طبقاً للادوار التى يمثلونها . ولكن يرجح لنا أنه قنع من ذلك بما فوق الدون . لان ابتكار الملابس التمثيلية بالمعنى المفهوم منها نسب إلى ايشيل .

خلفاء تسبيس

لم تكد طريقة تسبيس تعلن حتى أقرها الجميع وحذا حذوه شعراء عديدون فتبادروا وتنافسوا فى العقد الثانى من القرن السادس . لكن التاريخ لم ينقل الينا أسماءهم ولا انتاج قرائحهم لعدم اعتداده بها . واقتصر على تبيان من رآهم جديرين بالذكر فحفظ لنا اسم كوريلاس وفريميكاس .

ولقد تضاربت الآراء فى شأن أولهما حتى لم يتسن لنا استخلاص حقيقة واحدة منها . فقد اختلف المؤرخون فى تعيين القرن الذى عاش فيه: فبعضهم أوجده فى الخامس و بعضهم فى السادس واما نحن فنرجح الرأى الاخير .

ونسب غيرهم اليه تحسيناً فى ملابس الممثلين . وتفنناً فى الاوجه المستعارة التى كانوا يتنكرون بها. و بالغ آخرون فى تعداد مناقبه . وعدوه من نوابغ المؤلفين الذين قلما يأتى الزمان بمثلهم وغير ذلك من الآراء المتباينة التي لافائدة من ذكرها .

ولم يكن فرينيكاس اسعد حظا من نده ، فقد جار عليه التاريخ ولم يبين لنا من أمره شيئا كثيراً . فقد ذكر سويداس انه ادخل النساء فى زمرة الممثلين - لان ذلك كان ممنوعا عند اليونانيين — غير أنه لم يتحقق . لكنه فاز باكساب القواجع بهاء ورواء . وتسنى له تنويع العواطف التى تتخللها وتمكن من التلاعب بالباب المشاهدين واستهواء افئدتهم .

ولم تقف به همته عند هذا الحد بل سمت به الى اصلاح كل ماله مساس بالتمثيل . فادخل تحسينات جمة على زينة المسرح وتفنن فى تزويق الملابس والاوجه المستعارة . وحدت به عزيمته الى طرق المواضيع العصرية فمثل حوالى سنة ٤٩٥ رواية (فتح ميليه) La Prise de Mitl التى ابكت الشعب الاثينى كما يدعى بعضهم . لكنها فى الوقت نفسه جلبت على المؤلف سخطه وغضبه .

ووضع نحو سنة ٤٧٦ رواية (الفينيقيات) التى أتى فيها باندحار اكزرسيس فى موقعة سلامين .

ولم يبق الزمن من نفثات اقلامه غير اسماء رواياته البالغة اثنى عشر عدا . وقد صاغ اريستوفان لآلىء المديح لشعره الغنائى (Chants lyrique) الذى كان كثير الشيوع فى زمنه . تداولته الالسنة ورددته الافواه

ولاغرو اذا انتشر شعره . فانما قوام رواياته النشيد دون غيره . والعامل الغنائى فى قطعه التمثيلية هو الراجح على غيره من العوامل . بينما العامل الدرامى للفاجع لا اثر له فيها

يتبع

جورجى نيقولاوس